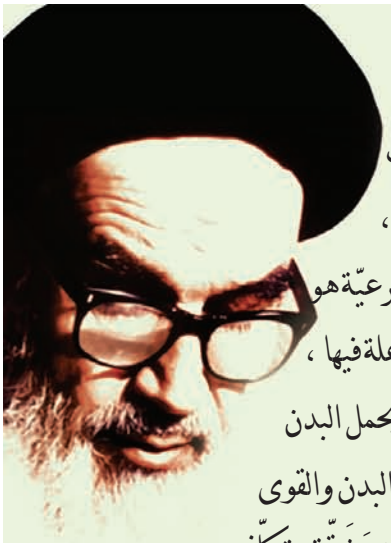

حُبُّ الدُّنيا

* من المفاسد الكبيرة لِحُبّ الدّنيا أنّه يُعيق الإنسان عن الرّياضات الشرعيّة والعبادات والمناسك، ويُقوّي البُعْد الطبيعيّ، فتستعْصي الطبيعة على إطاعة الرُّوح فلا تنقاد لها، ويوهِن العزم الإنسانيّ ويُضعفه، علماً بأنّ أحد الأسرار الكبرى للعبادات والرّياضات الشرعيّة هو جَعْل البَدَن والقوى الطبيعيّة والبُعْد المُلْكي تابعة للرُّوح ومنقادة لها، وجَعْل إرادة النّفس فاعلة فيها، وتَغْليب ملكوت النّفس على مُلْكها، بحيث يصبح للنّفس من السلطَنَة والقدرة والأمر ما يحمل البدن على القيام بأيّ أمرٍ، أو الامتناع عن أيّ أمر تريد بمجرّد تعلّق إرادتها بذلك، فيُصبح مُلْك البدن والقوى الظاهرة المُلْكيّة تابعة ومقهورة ومسخّرة للملكوت، بحيث يمكنه القيام بأيّ عمل يريده بدون مَشَقّة وتكلّف.

وإحدى فضائل العبادات الشاقّة المجهدة وأسرارها، أنّ هذا الهدف يتحقّق بسببها أكثر، ويصبح الإنسان بواسطتها صاحب عزم، ويتغلّب على طبيعته، ويهيمن على المُلْك.

وإذا تمّت الإرادة واكتملت، وقوِيَ العزم واستحكم، يصبح مَثَل مُلْك البدن وقواه الظاهرة والباطنة مَثَل ملائكة الله لا يعصون الله تعالى، ويمتثلون كلّ ما أمرهم به، وينتهون عن كلّ ما نهاهم عنه، من دون أيّ تكلّف ومشقّة.

كذلك قوى مُلْك الإنسان، إذا أصبحت مُسخّرة للرّوح فإنّ التكليف والمشقّة يزولان تلقائيّاً، ويُستبدلان بالراحة، وتستسلم أقاليم المُلْك السبعة للملكوت في ذلك العالم.

ميزان إحدى مراتب الجنّة التي هي من أفضل الجنان، هو الإرادة والعزم، فما لم يكن الإنسان صاحب إرادة نافذة وعزم قويّ، فلا سبيل له إلى تلك الجنّة وذلك المقام العالي.

في الحديث أنّ أهل الجنّة عندما يستقرّون فيها، يأتيهم كتاب من ساحة القدس الإلهي جلّت عظمته وفيه:

«من الحيّ القيّوم الذي لا يموت إلى الحيّ القيّوم الذي لا يموت. أمّا بعد، فإنّي أقول للشيء كُنْ فيكون وقد جعلتُك تقول للشيء كُنْ فيكون».

لاحظ أيّ مقام هذا، وأيّة سلطنة، وأيّة قدرة إلهيّة هذه، أن تصبح إرادته مَظهَر إرادة الله، يمنح المعدومات لباس الوجود.

هذه القدرة وهذا النفوذ أفضل وأسمى من جميع الجنّات الجسمانيّة.

ومعلوم أنّ هذا الكتاب لا يُرسَل عبَثاً وجُزافاً.

مَن تكون إرادته تابعة لشهواته الحيوانيّة، ويكون عزمه ميتاً وخامداً، لا يصل إلى هذا المقام.

إنّ أعمال الحقّ تعالى مُنَزّهة عن الجزاف، هي في هذا العالم وفق النظام وعلى أساس ترتيب الأسباب والمُسَبّبات، وفي ذلك العالم كذلك، بل إنّ ذلك العالم أليَق بنظام الأسباب والمسبّبات.

جميع نظام عالم الآخرة على قاعدة التناسُب والأسباب، ونفوذ الإرادة يجب الحصول عليه في هذا العالم.

الدنيا مزرعة الآخرة ومادّة جميع النِّعَم الجنّتيّة، والنِّقَم الجهنميّة.